مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أفسس ٤:٧-١٣)

يا إخوةُ لكلِّ واحدٍ منَّا أُعطيَتِ النِّعمةُ على مقدارِ موهبَةِ المسيح* فلذلك يقولُ لمَّا صعدَ إلى العُلى سبى سبياً وأعطى الناسَ عطايا* فكونُهُ صعدَ هل هو إلاَّ أنَّهُ نزلَ أولاً إلى أسافلِ الأرض* فذاكَ الذي نزَلَ هو الذي صَعِدَ أيضاً فوقَ السموات كلِّها ليملأَ كلَّ شيءٍ* وهو قد أعطى أن يكونَ البعضُ رُسلاً والبعضُ أنبياءَ والبعضُ مبشِّرين والبعضُ رعاةً ومعلِّمين* لأجلِ تكميلِ القديسينَ ولعملِ الخدمةِ وبُنيانِ جسدِ المسيح* إلى أن ننتهي جميعُنا إلى وحدةِ الإيمانِ ومعرفةِ ابنِ اللهِ إلى إنسانٍ كاملٍ إلى مقدارِ قامةِ مِلءِ المسيح.

الإنجيل

(متى ٤: ١٢-١٧)

في ذلك الزمان لمَّا سمع يسوع أنَّ يوحنا قد أُسلِمَ انصرفَ إلى الجليل*

العدد ٢٠٠٦/٢

الأحد ٨ كانون الثاني

الأحد بعد الظهور الإلهي

تذكار أبينا الجليل في القديسين

غريغوريوس النيصصي

والبار دومتيانوس

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر السابع

نهر الأردن

يشغل نهر الأردن حيزاً مهماً في الكتاب المقدس. قبل أن يكون النهر الذي اعتمد فيه الرب يسوع المسيح، هو النهر الذي يحد «أرض الموعد». عبور الأردن بالنسبة للشعب العبراني في القديم كان الدخول في تحقيق مواعيد الرب. انه الدخول إلى الأرض التي تدرّ لبناً وعسلاً، حيث يسكن الله في وسط شعبه منعماً عليهم ببركاته التي لا تنتهي. إلى جانب كونه التحقيق الروحي والاسراري للعهد القديم، عبور الأردن في العهد الجديد هو الدخول في ملكوت الله واختبار ملء حياة الدهر الآتي.

في القديم لم يحظَ موسى ببركة ونعمة عبور الأردن، فكان ذلك علامة على ان الناموس لا يخلّص وحده إسرائيل والعالم بأسره. حظي يشوع بن نون بهذه البركة وقاد شعبه في عبور الأردن نحو أرض الموعد (يشوع ١: ١-٢). يشوع، الكلمة العبرية ليسوع وتعني المخلّص، صار علامة للعمل الخلاصي الذي سيقوم به يشوع الجديد، يسوع المسيّا المخلص، في عهد النعمة.

عندما نزل يشوع إلى المياه، والكهنة حاملون تابوت العهد، توقفت المياه عن الجري وانشقت مياه النهر وعَبَرَ شعب الله على أرض يابسة (يشوع٣:١١-١٣). وعندما خرج الشعب العبراني من مصر من أرض العبودية انشق البحر الأحمر وعَبَرَ الشعب كأنه على اليبس وعلى جانبيه المياه المنشقة. هكذا حصل أيضاً عندما عَبَرَ الشعب العبراني في نهاية رحلته نحو أرض الموعد. لقد أمر الرب يشوع أن يؤخذ إثنا عشر حجراً، على عدد قبائل إسرائيل، ويُعمل بها نُصُباً ليكون شاهداً على ما عمل الرب مع الشعب (يشوع ٤: ٨-١٠).

بعد عبور الشعب ويشوع نهر الأردن عادت المياه «إلى مكانها وجرَتْ كما مِنْ قَبْلُ إلى كُلِّ شطوطِهِ» (يشوع ٤: ١٨). هذا الحدث العجيب صار جزءاً من ذاكرة الشعب العبراني، وكان يُحتفل بذكرى هذا الحدث أثناء عبادة الشعب لله. صاحب المزامير لاحقاً يذكر هذا الحدث الإلهي في المزمور ١١٤، والكنيسة تستعير آيات هذا المزمور في ليتورجية عيد الظهور الإلهي: «البحر رآه فهرب. الأردن رجع إلى الوراء... ما لك أيها البحر قد هربت وما لك أيها الأردن قد رجعت إلى خلف...». لقد انشقت أيضاً مياه الأردن عند عبور إيليا وأليشع، والكنيسة تذكر هذه الحادثة في خدمة عيد الظهور الإلهي (٢ملو٢). ومن الأردن اختطف إيليا

وترك الناصرةَ وجاءَ فسكنَ في كَفْرناحوم التي على شاطئِ البحرِ في تخوم زبولون ونفتاليمَ* ليتمَّ ما قيل بإشعياءَ النبي القائل: أرضُ زبولون وأرض نفتاليم طريقُ البحرِ عبرَ الأردنِ جليل الأُمم* الشعبُ الجالس في الظلمة أبصر نوراً عظيماً والجالسون في بُقعةِ الموتِ وظِلالِه أشرق عليهم نورٌ* ومنذئذٍ ابتدأ يسوعُ يكرزُ ويقول: توبوا، فقدِ اقتربَ ملكوتُ السموات.

تأمل

«فلمَّا اعتمَد يسوع صعِدَ للوقتِ من الماء، وإذا السموات قد انفتحت له» (متى ٣: ١٦). لماذا انفتحت السموات؟ لكي تعْلَم أنتَ أيضاً أنّه عندما تعتمد أنت يحصلُ الأمر نفسه: يَدعوكَ الله إلى الوطن السماويّ، ويريد أن يُقنِعكَ بعدم ارتباطِكَ بأيّ شيء على الأرض. آمِنْ ولو لم ترَ. فالظهورات الحسيّة والعلامات السابقة للحوادث الروحيّة العجيبة تكون من أجل الضّعيفي الإيمان، الذين هم بحاجةٍ إلى مثل هذه الظهورات المحسوسة؛

إلى السماء لكي يعود ثانية، بحسب التقليد، ليهيء الطريق لمجيء المسيّا (راجع ملا ٤:٥-٦ ومتى ١٧: ٩-١٣). وفي نهر الأردن طهُر نعمان السوري من برصه (٢ملو٥:١٠-١٤). عندما أتى نعمان إلى أليشع طالباً الشفاء من برصه، قال له أليشع أن يغتسل في مياه الأردن سبع مرات. غضب نعمان وقال «أليس ابانة وفرفر نهرا دمشق أحسن من جميع مياه إسرائيل». لكنه بناءً على إصرار خدّامه نزل إلى مياه الأردن واغتسل فطهُر.

كل هذه الأحداث في العهد القديم وجدت كمالها وتحقيقها في العهد الجديد في الرب يسوع المسيح الذي نزل في مياه الأردن مُدخلاً إيانا إلى أرض الموعد الحقيقية، أرض الملكوت حيث لا يفسد سوس.

من نهر الأردن منحنا الرب يسوع نعمة سر المعمودية، هذا السر الذي ينقلنا إلى الملكوت كما نقلت المركبة النارية إيليا إلى السماء، وسنعود في اليوم الأخير لنملك مع المسيا في ملكوته إذا ما كنا أمناء له. إنه السر الذي ينقّي بشريّتنا الخاطئة من كل برص ويمنحنا الطهر والحلَّ من كل المعاصي. كلما اعتمد إنسان فهو يمر بخبرة الأردن وتفيض عليه كل النِعَم التي منحها الله في القديم لأصفيائه. «ان نهر الأردن قد انكفأ راجعاً قديماً بوشاح أليشع عند صعود إيليا، وانشقت الماء إلى هذه الجهة وإلى تلك، فحصلت له المادة الرطبة طريقاً يابسة، فكان ذلك رسماً للمعودية حقاً، التي بها نجوز سبيل العمر الزائل. المسيح ظهر في الأردن ليقدّس المياه» (الأحد قبل الظهور).

قداس رأس السنة

صباح الأحد ١ كانون الثاني ٢٠٠٦ وبمناسبة ذكرى ختانة السيد وتذكار أبينا الجليل في القديسين باسيليوس الكبير ورأس السنة ترأس سيادة المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي في كاتدرائية القديس جاورجيوس وبعد قراءة الإنجيل المقدّس ألقى العظة التالية:

«المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرّة.

نستيقظ كل سنة في مثل هذا النهار ونخرج لنسبّح الرب شاكرين إياه على ما يمنحنا من سنين ومن حياة وصحة وعافية وصبر. وكلما التقينا بأخ أو أخت نرمي السلام ونتمنى الواحد للآخر خير التمنيات. هذا الشعور مبني عند المسيحي، عند المؤمن، على تجديد العهد الذي قطعه يوم المعمودية، العهد الذي قطعه عرّاباه عنه بأنه سيموت عن دنيا الشر، دنيا الخطيئة والشهوات والملذات التي تبعدنا عن اتحادنا بالله وعن محبتنا له وعن تسبيحه وشكره. هذا الوعد قطعناه جميعنا مع خالقنا، ربّنا وسيدنا ومالك حياتنا، بأننا سنبقى معه مجاهدين، مصارعين الشر حيثما حل وفي أي مكان وُجد بدءاً من نفوسنا. لذلك، عندما نلقي السلام على أحبائنا نؤكد لنفوسنا ولهم بأننا سنبقى في المحبة لله وللآخرين، بأننا سنحيا في المحبة وننمو.

الإنسان المؤمن هو كاهنٌ، خادمٌ لله حيثما كان وفي أي اتجاه اتجه. هو خاصة الله، منه يستقي كل ما يريد ويستلهم أفكاره والأعمال. الإنسان المؤمن هو عضو في شعب الله، الشعب الذي يسبّح الله في كل حين. لذلك هو إنسان ليتورجي والليتورجيا هي عمل شعب الله.

عندما يأتي الكاهن إليّ قبل بدء الخدمة يقول: «ها وقتٌ يُعمل فيه للرب، بارك يا سيد» فأجيب: «تبارك اللهُ إلهنا كل حين». يقول: «صلِّ لأجلنا»، أجيب: «ليُسهّل الرب خطاك في كل عمل صالح». هذا الحوار القصير بين الكاهن والمطران الذي يسمح له بالخدمة هو كلام يقوله كل مؤمن لنفسه لأن المؤمن يقول في كل حين انه وقت يُعمل فيه للرب. وهل عند المؤمن وقت يُعمل فيه لغير الرب؟ المؤمن عاملٌ في حقل الرب

الذين لا يُعطُونَ أيَّ معنى للطبيعة اللاماديّة، بل يفتشونَ دوماً عن الأمور المنظورة فقط. لذلك، عليك، ولو لم ترَ بعد ذلك مثل تلك العلامات، أن تقبَل بإيمان كلّ ما جرى حتى الآن من البداية. لقد جرى مع الرُسُل صوت ريح عاصِفَة، وظهرت ألسنَةٌ ناريّةٌ. هذا لم يحصل من أجلِ الرسل، بل من أجل اليهود الحاضرين. ولكن، حتى وإن لم تجرِ بعد ذلك مثل هذه العلامات الحسّية أمامنا، علينا أن نقبل أنّها جرتْ مرّةً هكذا بالفعل. لأنّه من أجل ذلك أيضاً ظهرت الحمامة، ودلّت الحاضرين مع يوحنا، كما بإصبع اليد، إلى ابن الله؛ لكي تَعْلَمَ أنت أيضاً أنّ الروح القدس ينزلُ عليكَ في وقت المعمودية.

لسنا بحاجة إلى علامات منظورة، بل يكفي أن يتوفّر الإيمانُ عِوَضاً عنها. العلامات تردُ لا من أجل المؤمنين بل من أجل غير المؤمنين.

لماذا ظهر الروحُ القدس بشكل حمامة؟ الحمامة طائر أَليفٌ طاهر. وبما أنّ الروح القدس هو روح وداعةٍ، لذلك تراءى بشكل

وهو يعلم ويعي أن كلَّ وقتٍ هو وقتٌ يُعمل فيه للرب لأن المؤمن خاصة الرب، يعكس نور الرب وكلامه في حياته وعلى الآخرين.

لقد أعطانا الله الزمن الطبيعي: توالي الفصول والأوقات، ولكن هناك أيضاً الزمن الإنساني، هذا الذي يكوّن التاريخ ويجب أن يكون زمناً إلهياً. بعد أن سقطنا وخرجنا من دائرة الألوهة والوعي الكامل والصحو الكامل والإنسان الكامل، علينا أن نجعل من كل لحظة إناءً لحضور الرب، كرسياً لجلوس الرب في قلوبنا. لهذا قال بولس الرسول صلّوا بلا انقطاع (١ تسا٥:١٧). وداود النبي يقول في مزاميره «سبعَ مرّاتٍ في النهار سبّحتُك على أحكام عدلك» (١١٩:١٦٤). «أسبّح الربّ في حياتي وأرنّم لإلهي ما دمتُ موجوداً» (مز ١٤٦: ٢)، «في كل يوم أباركك وأسبّح اسمك إلى الأبد» (مز ١٤٥: ٣).

الإنسانِ مدعوٌ أن يكون ملائكياً، إلهياً، مرنماً، مسبّحاً وممجداً الله، محوِّلاً وقته من وقت عادي ملتصق بالطبيعة رافعاً إياه إلى مستوى الله. الإنسان يسير من نقطة بداية إلى النهاية، لكن المؤمن المحبّ لله، في سيره الأفقي هذا من الولادة إلى الموت يرتفع شيئاً فشيئاً إلى أن يكون مع الله فوق الزمن. ينخطف ولا يعود تحت حكم الزمن. الإنسان المؤمن يقول ما قاله يسوع لأمه وليوسف «لماذا تطلبانني؟ ألم تعلما أنه ينبغي لي أن أكون في ما هو لأبي»(لو ٢: ٤٩)؟ من الطبيعي أن يحب كل إنسان أمه وأباه وإخوته، لكن «من أحبّ أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني» (متى ١٠: ٣٧). صلوا إذاً بلا انقطاع.

في خدمة المعمودية يتلو الكاهن هذه الصلاة: «أدعُ عبدك هذا إلى نورك المقدس... جدّده للحياة الأبدية، إملأه من قوة روحك القدوس لاتحاد مسيحك لكي لا يكون فيما بعد إبناً للجسد بل ابناً لملكوتك». أي صوّر مسيحكَ في من هو مزمعٌ أن يولد ثانيةً. وعند ختم المعمَّد بالميرون يقول: «أحرسْ نفسه بخوفك الخلاصي في البرّ والطهارة حتى إذا أرضاكَ في كل عمل وقول صار ابناً ووارثاً لملكوتك السماوي». كل وقت يُعمل فيه للرب لذلك يصلّي الكاهن لكي يكون هذا الطفل المعمَّد مرضياً الله في كل عمل وقول، ليصير وارثاً لملكوته السماوي.

كذلك قبل قراءة الإنجيل نقول: «أشرقْ في قلوبنا نور معرفتك الإلهية الذي لا يضمحل. إفتحْ حدقتَيْ ذهننا لإدراك تعاليم إنجيلك. ضعْ فينا خوف وصاياك الإلهية لكي ندوس كل الشهوات الجسدية ونسير سيرة روحية معتقدين وعاملين كلَّ ما يرضيك». لأنك عندما تقرأ كتاباً مقدساً ولا تطلب من الله أن يجعلك إنساناً يتجدد بنعمته وروحه القدوس وأن تكون مرضياً له فأنت لا تفعل شيئاً.

هذا الزمن الذي نعيش فيه هو زمن التوبة والرجوع إلى الله. إنه زمن الإمتحان والتجربة لأن الإنسان المؤمن ينمو بنعمة الله الذي يعضده وينمّيه بالحق ليصبح ابناً للحق يتكلم به ويحيا فيه أي في الله. الإنسان المؤمن يحارب بالحق وعن الحق حتى الموت والله يعضده. يقول يوحنا في سفر الرؤيا «من يغلب في صراعه ضد الشر بالحق سأجعله عموداً في هيكل إلهي لا يعود يخرج إلى خارج، وأكتب عليه اسمَ إلهي واسمَ مدينة إلهي، أورشليم الجديدة النازلة من السماء من عند إلهي، واسمي الجديد» (رؤ ٣: ١٢).

الإنسان المؤمن الذي ينمو بالنعمة في الحق إنسان لا ينظر إلى الوراء ولا يتردد، وإذا جابهته التجارب لا يتوانى، لأنه «ليس أحدٌ يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله» (لو ٩: ٦٢).

حمامة. ومن ناحية أخرى، هذا يُذكّرنا بقصةٍ تاريخية قديمة، عندما غَمَرَ الطُّوفان كلّ المسكونة، وكاد الجنس البشري أن يفنى، كانت الحمامة الطّائر الذي بيَّن بوضوح نهاية الغضب الإلهي، حامِلةً في منقارها غصن زيتون، كخبر مفرح يُعلن السلام العام. كل ذلك كان رَسماً لِما سيحدُث لاحقاً. كانت حالة الناس أبشع بكثير من حالتهم الحاضرة، وكانوا يستحقُّون عِقاباً أكبر. فلكي لا تيأسَ أنت الآن، يُذكّرك هنا بتلك الحادثة القديمة: حين كان الرجاءُ مفقوداً، وُجد حلٌّ وإصلاح. كان الطّوفان في ذلك الوقت تأديباً، وأمّا الآن فقد جاء الحلّ عن طريق النعمة والعطيّة الجزيلة. لذلك ظهرت الحمامة، لا تَحمِلُ غصنَ زيتون، ولكنها تشير إلى الذي سيُخلّص من كلّ الشدائد، وتبسطُ أمامنا رجواتٍ صالحة؛ لأنها لا تُخرجُ إنساناً من الفُلكِ، بل تقودُ بظهوره المسكونة كلَّها إلى السماء. لا تحملُ غصنَ زيتون، بل البنوَّة للبشر كلهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يسأل بولس الرسول المؤمنين أن يقوموا مع المسيح القائم من الموت وأن يطلبوا ما هو فوق، حيث المسيحُ جالسٌ. يقول «إهتموا بما فوق لا بما على الأرض لأنكم قد مُتّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. متى أُظهر المسيحُ حياتُنا حينئذٍ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد» (كو ٣: ٢–٤). ويسألنا أن نفتدي (نشتري) الوقت: «أسلكوا بحكمة... مفتدين الوقت» (كو ٤: ٥). «أنظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء، مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة» (أف ٥: ١٥–١٦) وكأنه يقول لنا لا يقلْ أحدٌ لدي وقت. الزمن في يدي الله ولا أحد يعرف موعد رحيله. الوقت ثمين جداً، أسكنوا الله فيه لتسكنوا أنتم في ملكوته.

المؤمن إنسان يتكلّم لغة الله ويبتغي أن يحوّل الشر إلى خير وأن يجعل الدنيا فردوساً. «دافع عن الحق حتى الموت والرب الإله يقاتل معك» (سيراخ ٤: ٢٨). علينا أن ندافع عن الحق في كل ظرف وحال. لا نساوم ولا نتردد لأننا متحدون بالحق. عندما تكون مع الله يكون كلامك حقاً يخلّص الآخرين. ونفوس المؤمنين تتقدّس بإطاعة كلمة الحق والثبات فيها في انتظار الظهور المجيد.

المسيح أتى إنساناً لكي يستسهل كل إنسان اللجوء إليه والاتحاد به والارتفاع إلى السماء. في المسيح قد ظهر الحق الكامل. انه كلمة الله وهو وحده يعلن الحق، وهو مملوء نعمة وحقاً. «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو ١٤: ٦). إيماننا بهذا الحق، إيماننا بكلام يسوع يمنحنا الصبر الذي لا يتزعزع، الصبر في المحن والصعوبات والعذابات. والمؤمن حقاً يرجو ضد كل يأس. عندما يجابه المؤمن حالة لا يرى فيها إلا اليأس والسواد يشتد رجاؤه بالله ويعلو على اليأس والإسوداد والألم قائلاً ما قاله يوحنا الحبيب في رؤياه «تعالَ أيها الرب يسوع» (رؤ ٢٢: ٢٠). منذ أن يعي الحياة ينطلق المؤمن في نموّه في الله إلى ملء قامة المسيح صارخاً باستمرار تعالَ أيها الرب يسوع، مؤمناً به، «والإيمان هو الثقة بما يُرجى والإيقان بأمور لا تُرى» (عب١١: ١).

فيا أحبة، أسألكم باسم ربكم أن تملأوا زمانكم باستدعاء الرب. لقد أُعطي الزمنُ لكم وعاءً. هذه السنة الآتية والسنين بعدها أُعطيت لكم لتتدرّبوا على الحياة مع الله والبقاء معه. املأوا قلوبكم في كل لحظة بحضور الله. في كنيستنا الرهبان يردّدون اسم يسوع مع كل نَفَس لكي يؤكدوا لنفوسهم بأنهم يريدونَ الله في كل لحظة وبأنهم يحيون به، فيما معظم الناس يضعون الله في المرتبة الثانية واهتماماتهم الدنيوية في المرتبة الأولى.

علينا أن نقرأ كلمة الله في كل وقت وأن نتأمل فيها ونهتدي بها لأن حياتنا، مهما علا شأننا وكبرت ثروتنا، معرّضة للإهتزاز في أية لحظة. قد نمرض أو قد يصيبنا مكروه أو نشعر بدنو الأجل، وعندها لا ننفك نصلّي ونطلب من الله أن يرحمنا. لذلك من حسنات التجارب أنها تقرّبنا من الله، وهو يريدنا معه.

الشر في هذا البلد وفي أي بلد سببه غيابنا عن الله. الله يقرع باب كل قلب ومن يفتح له يدخل ويتعشى معه (رؤ ٣: ٢٠). رجائي أن تكون حياتكم هذه السنة مباركة بحضور الله فيها. ما هَمّ إن تألمتم. الألم يقدّس الإنسان ويجعله متواضعاً أمام عظمة الله.

المؤمنون يعيشون في البر والطهارة أو على الأقل يسعون إلى العيش في البر والطهارة. دعائي إلى الرب أن يجعلكم في طريق القداسة، طريق الخير والبر، مواطنين محبّين لهذا البلد ولبعضكم البعض، أن يجعلكم أعمدة في بناء هذا الوطن، أمناء له، وأنواراً في ملكوته، آمين».